بيروت دخلت معي النفق المظلم

النفق المظلم الذي كنت اتحدث عنه باستمرار، دخلته بيروت معي. دخلت بيروت هذا النفق لمدة تسعة وسبعين يوماً، وللدقة، ثمانية وثمانين يوماً، لان بيروت هي التي تلقت أولى ضربات الحرب في غارات الرابع من حزيران على المدينة الرياضية والمخيمات. بيروت دخلت معي هذا النفق برجالها ونسائها وأطفالها. هذا النفق الذي حذرت منه طويلا، دخلته معي أيضاً القوات المشتركة اللبنانية ــ الفلسطينية، ولقد قلت في بيروت ما تستحقه هذه المدينة العظيمة. قلت: «أيها المجد اركع لبيروت». وقد استحقت مني بيروت قبل أن أغادرها «وسام بيروت المجاهدة» الذي منحته لها باسم القوات المسلحة الفلسطينية وباسم منظمة التحرير الفلسطينية. هذا الوسام الذي استحدثناه في منظمة التحرير لكل من دافع عن بيروت ولكل من صمد فيها. وقد سلمت هذا الوسام، قبل مغادرتي بيروت، لاخوتي من أهل بيروت الكرام الذين خرجوا لوداعي، لن أنسى تلك اللحظات لسماحة المفتي خالد ولرؤساء الوزراء السابقين، سلمت وسام بيروت مع رسالة وجهتها لأهل بيروت، نشرت في الصحف، في اليوم التالي لرحيلي عن بيروت. بيروت مدينة دخلت التاريخ من أوسع أبوابه. وقف أمامها قاتل الأطفال والنساء، شارون الجبان، عاجزاً عن احتلالها رغم ما بحوزته من معدات أميركية ضخمة. فشل شارون في أن يقتحم بيروت عندما كان هؤلاء الابطال من القوات المشتركة يزنّرون خصرها. وفي خلسة من ليل رحيلنا، وبتواطؤ من الادارة الأميركية، سفح القاتل دم المدينة الشامخة بعد خروجنا منها.

في ذلك اليوم، كنتُ في روما، وكان لي يومها لقاء مع وزير الخارجية الايطالي. قلت له «أنت مسؤول عن المذبحة القادمة ضد أهل بيروت». لم أكن أتصور أن المذبحة ستقتصر على مخيمي صبرا وشاتيلا. طبعا أعرف لماذا اختاروا صبرا وشاتيلا. هما مركز قيادتنا ورمز ثورتنا. قلت لوزير الخارجية الايطالي: «أود أن أسأل: بأي حق تسحبون قواتكم من بيروت دون أن تبلغوني. لقد سلمت المدينة لكم عند خروجي منها، ولم أسلمها للجيش اللبناني. سلمت المدينة للقوات الثلاث متعددة الجنسية، الفرنسية والايطالية والاميركية، ولأربعة وخمسين مراقبا دوليا. فكيف حصل ما حصل؟». قال الوزير الايطالي «لقد مورس علينا ضغط أميركي». وايضاً أوضح لي السفير الايطالي عمليات الضغط التي مارسها عليه فيليب حبيب وقال: راجعت بنفسي شولتس فقال لي: سوف نرحل لأننا لا نريد البقاء في هذه المدينة ولا نتحمل مسؤولية ما سيجري بها.

اذن، كان الأميركيون يعرفون ما سيجري في المدينة. نفس الكلام قيل لي عندما قابلت في تونس كلود شيسون، وزير الخارجية الفرنسي. فبعد مرور أيام على المذبحة التقيت شيسون وحمّلته مسؤولية ما حصل، فقال أن ضغطا اميركيا كبيرا مورس عليهم للخروج من المدينة. هذا الكلام موجود في محاضر جلستين رسميتين بيني وبين وزيري الخارجية الايطالي والفرنسي، كل على حدة.

تعزيز أسباب الصمود

لم يكن القتال وحده هو المهم في بيروت. فتامين المياه وتوفير اسباب الصمود بعد قيام الغزاة بقطع المياه والمحروقات والدواء والطعام، كان شغلنا الشاغل كيف نؤمن كل